

الصناعة المعجمية الحديثة بين النظرية والتطبيق

مادة "الرأس" في القواميس العربية

أ.د. رشيد بن مالك
مدير سابق لمركز البحث العلمي
والتقني لتطوير اللغة العربية
الجزائر

0. الإطار المنهجي العام

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى الاقتراب المنهجي من المفاهيم الأساسية في الصناعة المعجمية الحديثة والسبل الكفيلة بتحديدتها وضبط أطرها المنهجية نظرياً وتطبيقياً. ونعتبر هذه الخطوة أساسية من الناحية الإجرائية، لأنها ستعمل على إزالة الالتباسات التي تكون نتيجة للمنطلقات غير المؤسسة ونتيجة لهذه النزعة، أيضاً، في التعامل مع المفاهيم وكأنها محررة من النسق العام الذي تنتمي إليه. إن الحديث عن الصناعة المعجمية الحديثة يستوجب تعميق المعرفة حول المفاهيم المتاخمة لها (المعجم، القاموس، المعجمية، الرصيد اللغوي) والتي غالباً ما تتداخل معها. وسيقودنا هذا التحديد الذي نعتبره ضرورياً في أي ممارسة معجمية، إلى إثارة بعض القضايا المقترنة بالاقتراب المعنوي من المفردات اللغوية وإمكانية إدراجه في الصناعة المعجمية نظراً للحلول التي يقدمها في تنظيم المادة المعجمية. وسنركز في هذا على المسلمة المركزية التي ينهض عليها التحليل المعنوي وهي أن مدلول المفردة قابل للتجزئة إلى وحدات معنوية صغرى. وستمكنا هذه الوقفة من تسليط بعض الأضواء على الجوانب التطبيقية التي كان لها عميق الأثر في بلورة التحليل المعنوي، وتبيان أهميته في ترتيب المادة المعجمية. وستمكنا هذه الوقفة من تقصي مفردة الرأس في بعض القواميس

العربية القديمة والحديثة بقراءة شروحاتها وتحليلية مستوياتها الدلالية، والنظر في طريقة توزيعها، واقتراح بعض البدائل لتنظيم المادة المعجمية لهذه القواميس.

1. المفاهيم الأساسية في الصناعة المعجمية الحديثة.

1.1. بين المعجمية والرصيد اللغوي والصناعة المعجمية

من الواضح أن المعجمية (lexicologie) تُستعمل للدلالة على دراسة المعجم (lexique) والرصيد اللغوي (vocabulaire) في علاقاته بكل المكونات اللغوية الأخرى. وتعدُّ المعجمية مادة تعليمية حديثة العهد ظهرت لأول مرة في الموسوعة الفرنسية في حدود 1765، ولم تكن الفوارق بينها وبين الصناعة المعجمية (lexicographie) آنذاك واضحة المعالم، إذ كثيراً ما كان يقع بينهما الالتباس إلى درجة اعتبارهما مترادفين. وبفضل تعاليم ف. دي سوسير حققت المعجمية استقلاليتها. ولعل أهم إنجاز أرساه سوسير في هذا المجال يكمن في انتقاده التصور الذي يقضي بأن اللغة مجرد قائمة من التسميات، بالتشديد على أن معنى الكلمة سلبي خالص بما أنها منخرطة في نظام من العلاقات وتأتي حقيقتها الدالة من القيود التي يفرضها هذا النظام؛ وعلى هذا الأساس، فإن الكلمة تسهم في بنية المعجم التي ينبغي أن تُدرس في إطار العلاقات النظمية والاستبدالية¹. وباعتباره مصطلحاً لسانياً عاماً يُستعمل المعجم lexique للدلالة على مجموع الوحدات المكونة للرصيد اللغوي لجماعة أو لنشاط إنساني أو لمتكلم. ويقودنا هذا التعريف إلى النظر في الزوج مُعجم/رصيد لغوي (lexique/vocabulaire) على أنه مرتبط بالمقابلة لسان/كلام (في مُصطلحية سوسير) ولسان/خطاب (في مُصطلحية غيوم)، وعلى هذا الأساس يحيل المعجم على اللسان والرصيد اللغوي على الخطاب. ومن ثم، فإن المعجم يتشكل من وحدات مضمرة هي المفردات (lexèmes) وتتحوّل هذه إلى ألفاظ بمُجرد تحيينها في الكلام أو الخطاب. يشكل مجموع الألفاظ الرصيد اللغوي الذي يكون بالضرورة مَرَبوطاً بنصّ شفوي أو مكتوب، طويل أو قصير، مُتجانس أو متنافر، في حين أن المعجم

1 - J.Dubois, Mathée Giacomo et autres, *Dictionnaire de linguistique*, Larousse/ Bordas, Paris, 2001.

يتسامى على النَّصِّ ويقترن بمتكلم أو أكثر. يفترض الرّصيد اللّغوي للنص ووجود معجم. ولمزيد من التّوضيح، يتحدّد معجم المتكلم بمجموع الألفاظ التي يستعملها أو يُمكن أن يستعملها في الخطاب أو الكلام. ليس الرصيد اللّغوي لهذا المتكلم إلا قسماً من المعجم، مجموعة فرعية عنه، عيّنة منه². وداخل هذه المقابلة بين المعجم والرصيد اللغوي، يُمكن أن نتصوّر المعجم من وجهات نظر متنوعة. ومن ثم، فإن المعجم المتصور يتعلق بمعجم المتكلم (في الحالة التي يأتي فيها النص من مصدر تلفظي واحد، أو في الحالة التي تتشكل فيها المدونة من تجميع الأفعال اللّغوية المعزولة لمتكلم واحد). إنّ المدونة المشكلة لا تُقدم، على أهميتها، إلا رصيذا لغويا ولا يمكن أن تشي بمعجم (الإمكانات المعجمية أو كفاءة) المتكلم. يستوجب الانتقال من الرّصيد إلى المعجم الأخذ في الحسبان امتلاك المتكلم رصيذا سلبيا؛ توجد مفردات عديدة مفهومة ولكنها لا تتحقّق في أيّ وضعية من الوضعيات التلفظية. أما المعاجمية أو صناعة المعاجم، فإنها تقنية إعداد هذه القواميس والتحليل اللّساني لهذه التقنية. من جهة أخرى، إنّ القاموس (Dictionnaire) جرد من مفردات اللغة الطبيعية الموضوعة في نظام اصطلاحي ألفبائي ومُستقلة عن بعضها البعض، ويقدم مجموعة من المعلومات المقترنة بمعناها واستعمالاتها. يعدّ القاموس امتدادا للمعجم وليس هو بمستقل عنه؛ فالقاموس هو رصيّد لغوي جزئي مُستخرج من المعجم الذي هو الرصيد اللّساني العام الذي تكون الوحدات المعجمية فيه الوحدات اللغوية الأساسية في لغة جماعة لغوية ما (...). ومهما يحاول مؤلف القاموس الاستيعاب والاستقصاء، فإنه لا يستطيع الإحاطة بكل الرّصيد المكون للمعجم. ولذلك فإن القاموس لا يكون إلا جزئياً، لكنه على جزئيته منتم إلى المعجم لأنه جزء مُستخرج منه³. بعد هذه الإطالة المنهجية على بعض المفاهيم الأساسية التي بدأ لنا الوقوف عليها ضروريا لأخذ فكرة عن الصّناعة المنهجية ومكوناتها الرئيسة

2 - R.Galissou/D.Coste, Dictionnaire de didactique des langues, Hachette, Paris, 1976.

3 - إبراهيم بن مراد، صلة التأليف القاموسي العربي الحديث بالنظرية المعجمية في: الدراسات المعجمية، العدد السلب والثمان، منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، الرباط المغرب، ص.52.

والفوارق الدلالية التي تقوم بينها، سنتقل الآن إلى دراسة التحليل المعنمي أو المكوّني الذي يُعد من أولى المحاولات المباشرة لتجزئة معنى الكلمة إلى وحدات معنوية بسيطة. وقد ظهرت في سياق ما نُسميه التحليل البنيوي الذي كان سائداً في الستينيات. وتكمن الأهمية المنهجية للتحليل المعنمي في الدور الذي يمكن أن يؤديه في تنظيم المادة المعجمية للقاموس وتمييز مختلف المعاني الممكنة للمعاني الغامضة.

2. المفاهيم الأساسية للتحليل المعنمي

1.2. التحليل المعنمي عند بيرنار بوتوي

يعدُّ بيرنار بوتوي من الباحثين الأوائل الذين صرّفوا جهودهم إلى دراسة الظاهرة اللغوية متقصباً في ذلك بعض المسائل المتعلقة بدراسة المفردات التي تبدو على جانب كبير من الصعوبة. وقد استطاع مع ذلك أن يُحكم سيطرته على الإجراءات الكفيلة بتطويقها ويقترح بعض البدائل المنهجية لدراسة المفردات. ويمكن أن نُمثل لذلك بالدراسة حول مفردة المقعد التي قام بها في بداية الستينيات والمتضمنة في بُحوث حول التحليل الدلالي في اللسانيات والترجمة الآلية⁴. وقد لاحظ بوتوي أن الفرد يطلق دائماً الكرسي على فئة من الأشياء حتى وإن استحال وجود كرسيين متطابقين بدقة في الواقع. وعلى هذا الأساس، يقترح مجموعة من السمات التي تشترك فيها التسميات الموضوعية للأشياء على الرغم من هيئاتها المختلفة. وهذه السمات هي التي تدخل في تشكيل التعريف الذي يمكن أن يوضع لمفردة الكرسي.

/المسند/، /على قدم/، /لشخص واحد/، /للجلوس/

إن هذه الفئة التي تضمّ السمات الثابتة هي مجموع المعانم التي تشكل المعنم المركب "كرسي". وإذا قارنا هذا المعنم المركب في الجدول أدناه بمعانم

4 - B.Pottier, *Recherches sur l'analyse sémantique en linguistique et en traduction mécanique*, Stasbourg, 1963.

مركبة مجاورة تضم، مع فارق ضئيل، المعانم نفسها، فإننا ننتهي إلى صَبْط المعانم التي يميز غيابها واحدا من المعانم المركبة. وتسمّى هذه المعانم "السمات الملائمة" أو "المعانم الخِلافية"⁵ وهذا ما يمكن أن نلاحظه في الجدول الآتي:

6م	5م	4م	3م	2م	1م	المفردات
بمادة	بالمساند	بالظهر	لشخص واحد	على قدم	للجلوس	
صلبة						
+	-	+	+	+	+	كُرسي
+	+	+	+	+	+	متكأ
+	-	-	+	+	+	إسكُملة
+	+	+	-	+	+	أريكة
-	-	-	+	-	+	نمرق

2.2. رُدود أفعال السيميائيين والتَّصور الجديد للتحليل المعنمي

وعلى الرَّغم من أنَّ هذه الرؤية المنهجية في تحليل المفردات أسهمت في التأسيس لمسألة الاقتراب من المفردة، فإنها أثارت ردود أفعال الباحثين في الدراسات السيميائية. ويقف على رأس هؤلاء أ.ج. غريماس الذي لاحظ أن هذا الوصف يظهر تلاقي نظامين معنمين متنافرين: نظام فضائي / مرئي وحقل دلالي غير محدد متعلق بالبعد الوظيفي للمعانم التي تدخل في تشكيل المعانم المركبة⁶. إذا كان / للجلوس / و/ لشخص واحد / مرتبطين بالجانب الوظيفي، فإن كل المعانم الأخرى (م2، م4، م5 وم6) تُحِيل على الطبيعة الجوهرية للمقعد. ويستغرب كُورْتيس من وجود مَعْنَم مُشْتَرَك لكل هذه المقاعد (م1) وهو لا

5 - Anne Hénault, *Les enjeux de la sémiotique*, PUF, Paris, 1979, p.53.

6 - A.J.Greimas, *Sémantique structurale*, PUF, Paris, 1986, p.37.

يرتهن في علاقته بها إلى طبيعتها بل إلى وظيفتها. ولإستكمال التحليل، كان من المفروض أن يشير م1 ليس فقط إلى غايتها (= للجلوس /)، بل إلى مصدرها أيضا/ مصنوع للجلوس/، وهذا يسمح مثلاً باستبعاد الطاولة، أو الجدار أو الحجرة مادامت هذه المواضيع يمكن أن تتخذ عند اللزوم / للجلوس /⁷.

ويبدو أن البينة هنا صادرة مباشرة عن المقابلات الوظيفية الموجودة بين هذه المواضيع المختلفة. ولئن كان هذا النوع من الوصف عملياً في أثناء تقصي الرصيد اللغوي المسخر لتسمية الموضوعات المادية، فإنه يبدو أقل وضوحاً في ما عداها.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن نتساءل عما إذا كان مفيداً جداً أن نُقر بمعانم على قدر قليل من التجريد مثل "بالمسند" أو "للجلوس" وهي في الواقع لا تملك القدرة على مغادرة مجالها المحدود؛ ومن ثم، فإنها ليست كفيلة بالانتماء إلى هذه الفئات الصغيرة المغلقة من العناصر الدلالية ذات العمومية الكبيرة والتي ينبغي، في رأي هيالمسلاف، أن يشكل توافقها التنظيم العميق للدلالة في لغة مُعطاة. إن نظرية المعانم على النحو الذي قدّمه به ب. بوتبي، لا تسمح بافتراض الوحدات الدنيا ذات التجريد الكافي والعدد المحدود لتقريب السيميائية من النموذج الفونولوجي.

إن الدراسة التي قدمها بوتبي وبعض الباحثين الذين جاءوا من بعده لم تنظر إلى المفردة من منطلقات العلاقات التي تقيمها فيما بينها المعانم التي تدخل في تشكيلها بل على أساس التجزئة الاعباطية للدلالة.

وعلى هذا الأساس، صاغ غريباس وتلامذته اقتراحات بوتبي في إطار رؤية جديدة تعقد أهمية للعلاقات التي تقيمها العناصر فيما بينها. من هذه المنطلقات، يستعمل المعنم sème للدلالة على الوحدة الدلالية القاعدية، وهو لا يظهر بهذه الصفة إلا من خلال العلاقة التي يُقيمها مع عنصرٍ آخر. ولما كانت

7 - J.Courtés, *Analyse sémiotique du discours*, Hachette, Paris, 1991, p182

وظيفته خلافية، فإنه لا يُدرك إلا في إطار البنية. إذا أخذنا على سبيل المثال : "ابن" و"بنت"، يمكن أن نقول إنها يضمان معنًا مُشتركا على المحور الجيلي (في علاقة بنوة إزاء أحد الوالدين أو كليهما) ومعنًا مختلفًا على محور الجنس: الذكورة في الحالة الأولى، والأنوثة في الحالة الثانية. حتى نوضح هذه المسألة، نستعين بالمثل الذي ضربه كورتيس في كتابه السيميائية السردية والخطابية⁸:

رجل	امرأة	طفل	أب	أم	ابن	بنت	
+	+	+	+	+	+	+	إنساني
+	-	°	+	-	+	-	ذكر
-	+	°	-	+	-	+	أنثى
+	+	-	+	+	°	°	بالغ
-	-	+	-	-	°	°	لا بالغ
°	°	-	+	+	-	-	إنجاب
°	°	+	-	-	+	+	بُنوة

ترتبط دلالة المفردات بالمعانم التي تنضوي تحتها. ويكفي أن نستبدل عنصرا داخل المجموعة المعنمية بعنصر آخر ليتغيّر المعنى كليا. ولئن كانت اللسانيات تقر منذ سوسير بأن العلامات تدرك من منطلقات النظام الذي تحتكم إليه، فإن المضمون الدلالي للوحدة يخضع بشكل كامل إلى العلاقات التي يقيمها مع مضمون الوحدات الأخرى. ومن ثم، فإن المفردات التي تشترك مع معنم أو معانم عديدة تجمع من خلال علاقة وُصلية تؤسس لانتمائها إلى نفس الحقل. غير أن النظام المعنمي في كليته لكل مفردة يتضمن حضور عدد محدد من المعانم وغياب معانم أخرى. ويعمل هذا الغياب، من منطلقات قاعدة معنمية مشتركة، على تجلية مُقابلة تفصل مفردة معطاة عن المفردات الأخرى من

8 - J.Courtés, *Introduction à la sémiotique narrative et discursive*, Hachette, Paris, 1976, p.47.

المجموعة⁹. يجدر بنا أن نميز في هذا السّياق بين المعانم النووية والمعانم السياقية. تدخل المعانم النووية في تشكيل النواة المعنمية التي تستعمل للدلالة على حضور الحد المعنمي الأدنى القار. ضمن هذا السّياق تدل المعانم المركبة على تفاعل النواة المعنمية بالمعانم السياقية التي ترتبها في وجودها إلى الدور الذي يؤديه السّياق باعتباره وحدة خطابية موجودة في وحدة أرقى من المفردة. وحتى نوضح هذه المسائل نستند إلى مثال ضربه غريماس¹⁰ بخصوص مقطع من الخطاب في غاية البساطة:

الكلب ينبح

إن التحليل السياقي لـ نبح الذي يسمح لنا باستنباط النواة المعنمية ن م 1م وليكن "نوعا من الصراخ" يبرز وجود فئتين سياقيتين يمكن أن تتفاعل مع نبح. فئة الحيوانات: الكلب، الثعلب، ابن آوى وفئة البشر: الرجل، ديوجين، هذا الطموح. تتميز كل واحدة من الفئتين بحضور معنم مشترك. يتعلق الأمر في الحالة الأولى بمعنم "حيواني" وفي الثانية بمعنم "إنساني". ويشكل تفاعلها مع النواة ن م 1م معنمين مركّبين مختلفين: صراخ الإنسان/ صراخ البشر.

1.2.2. التحليل المعنمي بين الوضع والاستعمال.

من الواضح أن المفردة تُغطي مجموعة من المعانم، وهي بوصفها إضمارا سابقا في الوجود على التّلفظ تبدو كمجموعة من المسارات الخطابية الممكنة والتي في انطلاقتها من نواة مشتركة تفضي في كل مرة بفضل لقاءها بالمعانم السياقية المختلفة إلى عدد من التّحققات في شكل معانم مركبة (...). غير أن كل تحقق منتظم يعلق مجموعة من الإمكانيات غير المستغلة وتكون جاهزة للتّحيين في هذا السّياق أو ذاك.

9 - M.Bonan Garrigues, J.Elie: *Essai d'analyse sémique in Cahiers de lexicologie*, volume XIX 1971, II, Didier-Larousse, Paris, 1971, p.72.

10 - A.J.Greimas, *Sémantique structurale*, PUF, Paris, 1986, p.51.

ومهما يكن سياق الاستعمال، فإن المفردة تعد سلفاً وحدة دلالية حقيقية تتضمن نواة معنوية قارة نتعرف عليها من خلالها بهذه الصفة وفي أي موضع. ولتوضيح هذه المسألة، نستعين ببعض الأمثلة ضربها جوزيف كورتيس في معرض حديثه عن التلويحات الدلالية التي تأخذها المفردة من خلال تفاعل المعانم النووية بالمعانم السياقية¹¹.

ولتكن المفردة plateau بمعانيها الثلاثة الممكنة:

أ. صينية تُستعمل لوضع الأشياء ونقلها.

ب. هضبة.

ج. خشبة يُعرض عليها المشهد.

تشتغل هذه المعاني على بعض المعانم النووية المشتركة: / شيء (طبيعي أو اصطناعي) / + أفقية + سماكة... الخ. وهذا لا يصدق على كل الحالات، ذلك أنه لا يمكن أن نحدّد دائماً نواة دلالية تشترك فيها كل المعانم المركبة لمفردة معطاة، وفي هذه الحالة، يسعى المعجم إلى مضاعفة المتجانسات اللفظية. إن المعجمي الذي يخضع لقيود الاستعمال يكون في وضع مرتبك: فهو من جهة يستغل التمفصلات التركيبية والدلالية لتصنيف السياقات من أجل استنباط المعانم والمعانم المركبة، وهي تمفصلات مهما كانت درجة إتقانها لا تستنفذ بشكل كلي المدونة الموضوعية قيد الدرس، ومن جهة أخرى، فإنه لا يمكن أن يخرج عن سلطان المعطيات السوسيوثقافية والتاريخية والثقافية التي تتهيء بمعانٍ غير متوقعة بنيويا ولا يستطيع أن يدمجها في خطاطته على نحو ما نلاحظ ذلك في مفردة: «grève» (أرض مسطحة تقع على ضفة نهر) و«grève» (= "التوقف الإرادي والجماعي عن العمل"). تُجمع المعانم على اعتبار الوحدتين من المتجانسات اللفظية، مُقرّة في ذلك بأنهما لا تملكان نفس النواة المعنوية وتقتصر

11 - J.Courtés, *Op.cit* ,190.

مدخلين متميزين (grève1 و grève2). وهذا يصدق أيضا على نحو تقريبي على « louer الذي يدل تارة على "الإقرار بالإعجاب الجدير" (= louer 1) وتارة على "استأجر" (= louer 2) مع اختلاف لا يمكن أن نتغاضى عنه I louer مشتق من اللاتينية laudare و louer 2 من locare؛ وقس على ذلك masse "مادة صلبة أو عجينية" من اللاتينية massa أو "مطرقة خشبية كبيرة..." من اللاتينية الشعبية (mattea) وهذا ما نلاحظه أيضا في détacher الذي يمكن أن يقرأ إما ضدا لـ attacher أو فعلا دالا على إزالة الأوساخ. ومع ذلك فإن حالة grève مختلفة جدا عن تلك المتعلقة بـ louer أو masse أو détacher ذلك أنه في لحظة معينة من التاريخ الفرنسي أضحى معنيا grève متقاربين إذ كانت تعني في القرن التاسع عشر المكوث في ساحة غريف Grève (التي كانت تحيط بباريس نهر السين Seine على مستوى فندق المدينة Hotel de ville الحالي) للحصول على منصب عمل. ومن ثم فإن المفردتين لا تُدركان على أنهما تملكان نواة معنوية مُشتركة: إن الفصلة آتية ليس من الخطاطة، بل من الاستعمال.

من هذه المنطلقات يتساءل كُورْتيس عما إذا كان ضروريا أن نستنبط في كل مرة ولكل مفردة نواة معنوية قارة ونقف على أساس هذا وفي، مقابله على المعانم السياقية؟ ويبدو أن هذه الخطة تفرض نفسها متى اشتغلنا على اللغة وهذه هي حالُ المُعْجَمَاتِي الذي يسعى إلى التحديد الدلالي و/ أو التركيبي لكل المعانم المركبة الممكنة للمفردة، وباللجوء إلى الاشتغال على الثوابت (المعانم النووية) والمتغيرات (المعانم السياقية)، فإنه يحافظ على الأقل على المفردة كوحدة مضمون؛ إن القاموس الذي يعطي فكرة عن وضع اللغة حتى وإن كانت في شكل خطابات خاصة، يلقي قاعدة مضمونة نسبيا، وفي انتقاله من مستوى اللغة إلى مستوى الخطاب، يلاحظ كُورْتيس أن التمييز لا يُطرح على الإطلاق. ولتكن المفردة "نجمة" التي يمكن أن نتوقع لها معانم مركبة عديدة كما تدل على ذلك الملفوظات الآتية:

1. هذا النور الباهت الذي يسقط من النجوم

2. الشمس نجمة

3. جنرال بنجوم

4. إنها راقصة نجمة

نجد في الملفوظ الأول المفهوم الشائع للنجمة الذي يعمل على الأقل على تجلية السمات الآتية: شيء /+ سماوي /+ لماع /+ ليلي /+ قليل الإضاءة؛ ويقابل هذا المعنى المركب القمر الذي يتضمّن على الأقل سمة خلافية: على قدر من الإضاءة / والشمس بوجه خاص التي تتضمن السمات / كثيرة الإضاءة / و /نهارى / . وتتموقع الجملة الثانية في سياق مغاير تماماً وهو خطاب علم الفلك: إن المعانم / قليل الإضاءة / ، / لماع / و / ليلي / تفقد في هذا السياق ملاءمتها وتخلي المكان لسمة / إنتاج الطاقة / مثلاً؛ غير أن النجمة في 1 و 2 تحافظ على المعنمين الأولين: شيء /+ سماوي / التي تسمح لنا أن نتعرف فيها على الكوكب (= "كل جسم سماوي طبيعي مرئي" وهي كلمة اختارها روبرت كخاصية أولى تعريفية للنجمة. لا توجد في الملفوظ 3 أية سمة معنمية مستنبطة من 1 ربما نستثني من ذلك معنم / شيء / (ألا يختفي هذا من "فندق ذو أربع نجوم؟")

في 4 لا يبقى إلا معنم واحد / لماع / ولكنّه مأخوذ في معناه المجازي: يتعلق الأمر براقصة سمعتها تلمع وموهبتها أيضاً.

3.2. مادة الرأس بين الوضع والاستعمال في القواميس العربية

في إطار هذا التوجه المنهجي العام، سنسلط بعض الأضواء على مفردة الرأس في المعاجم العربية. حتى وإن اخترنا هذه المفردة بشكل اعتباطي، فإن الذي يهنا بالدرجة الأولى في هذا الدراسة هو أن تُبين الكيفية التي تعاملت بها بعض القواميس العربية مع هذه المادة، ونقدم بعض البدائل المنهجية في حالة

وجود اضطرابات أو التباسات من شأنها أن تُشوش على القارئ فهم ما يبحث عنه، مستلهمين في ذلك الإنجازات العلمية التي حققها غريماس في كتابه الدلالية البنيوية الذي حمل التباشير الأولى للدلالية المعجمية¹².

إن تحليل مختلف الأمثلة التي اقترحتها القواميس العربية لعرض شروحاتها لمفردة "رأس" يبين أنها تستبعد النواة المعنوية للرأس (عضو من الجسم) وتكتفي بمعانمه السياقية، و نعني بذلك التنظيمات المعنوية التي يمكن أن تحينها كلمة "رأس" في مختلف توزيعاتها الممكنة، والتي يمكن أن ندركها في انتقال الشارح من مستوى اللغة إلى مستوى الخطاب. ونستثني منها المنجد في اللغة العربية¹³ الذي اقتصر على تعريف روبير وتصرف فيه، يوحي بأنه أقر المعانم السياقية في الثقافة الأوروبية، وسنوضح هذه النقطة لاحقاً. نشير في البداية إلى أن المنجد حدد الرأس على النحو الآتي:

رأس: ج رؤوس وأرؤس: ما يلي الرقبة من أعلاها في الإنسان ومن مُقدمها في الحيوان، فيه الفم والدماغ وأعضاء الحواس ما عدا اللّمس.

وضع المنجد الرأس في قلب المقابلة إنسان/ حيوان المضبوطة معنيا بالعمودية (الأعلى) عند الإنسان والأفقية (المقدمة) عند الحيوان. يُحافظ الرأس في هذا الملفوظ على نوياتها المعنوية المدركة من خلال النظر والشم والذوق والسمع، ويستثني منها ما تعلق باللمس. إن المنجد، في هذا السياق، لا يغادر الإطار العام الذي أقره الوضع، ولا يخرج عن الحُدود التي تضطلع بها الوظائف الطبيعية للأقسام الناتئة في الوجه. وإذا انتقلنا من الوضع إلى الاستعمال، فإننا نلاحظ أن المادة المعجمية المخصصة لمفردة الرأس في المنجد، جاءت مُبعثرة تحيل مرة على معانم الفوقية ومرة أخرى تحيل بفعل الاستعمال على معانم سياقية جديدة. وقد عايناً في سياقات عديدة هذا التداخل في المستويات الذي يؤثر سلبي في تعامل

12 - A.J.Greimas, *Sémantique structurale*, PUF, Paris, 1986.

13 - صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت لبنان، 2001.

القارئ مع هذا المدخل أو ذاك، ويعمل بشكل سافر على إحداث خروقات على مستوى وحدة الحقل الدلالي. حتى نبين الأهمية التي يكتسيها التحليل المعنوي في الصناعة المعجمية، ونقدم عناصر مُقنعة عمدنا إلى ترتيب المادة في هذا المعجم إلى مجموعات متجانسة دلاليا تتضمن قواسم معنوية مشتركة.

تشتمل المجموعة الأولى على معنم / الفوقية / + / التحتية / ويمكن أن نقدمها على النحو الآتي:

أعلى نقطة، القسم الأعلى من شيء، قمة: رأس قبة جرس، رأس جبل، رأس شجرة. شيء مُكور كرأس إنسان: رأس ثوم. طرف: رأس قضيب. طرف رفيع دقيق: رأس إبرة، رأس مسبار. زاوية ناتئة: رأس سندان. موضع تبغ في غليون: رأس غليون. فرد من الحيوان: لسان من الأرض داخل في البحر: رأس الرجاء الصالح رأس مثلث: زاوية تتألف من تقاطع ضلعيه فوق القاعدة. رأس جسر: موقع حربي مؤقت تحتله قوة عسكرية استعدادا لاحتحام أكبر أو لإنزال جيوش. رأس زاوية: مُلتقى ضلعيها. رأس شمعدان: القسم الأعلى والمتحرك من شمعدان حيث توضع الشمعة. رأس صخرة: جزء صخري من صخر، يكون قريبا من الشواطئ ويشكل خطرا على الملاحه. رأس عمود: تاجه رأس قبة: في هندسة البناء: قطعة من هيكل بناء تشكل ركن سقف وتغطي زاوية أو زوايا السطح البارزة. رأس حيزوم: ما يُنشأ في مقدم سفينة بغية الإمداد بنقط الارتكاز اللازمة لترتيب الصاري المائل، وقيل هو مقدم السفينة الذي يشق الماء. رأس ذهبي: مرجان مذهب.. رأس نَووي: القسم الأعلى من مقاذيف نووية مستطيلة. رأس هوائي: الطرف الأعلى من الهوائي. سمت الرأس: نقطة من الكرة السّماوية واقعة على شاقول المكان فوق الأفق. أم الرّأس: غلاف الدماغ. قلبه رأسا على عقب: جعل أعلاه أسفله. رأس كبش: آلة حربية هدم الأسوار.

وتتضمن المجموعة الثانية معنمى / المعرفة / و / الجهل / و / اللامبالاة /
ويمكن أن نعرضها على هذا النحو:

عقل: ما عنده رأس. بال، خاطر: دارت فكرة في رأسه. موجه، محرك،
عقل مدبر: كان رأس هذه المؤامرة. رأس الفتنة: أساسها. تعب الرأس: إجهاد
فكري مرهق، إرهاق عقلي. ركب رأسه: مضى على غير هدى لا يطيع مرشدا.
أضاع رأسه: فقد عقله. جمح إلى ما أراده فلم ينش عنه. لوى رأسه: أبدى عدم
اهتمام.. رأس الحكمة مخافة الله: أسمى درجات الحكمة أن يخاف الإنسان ربه.
أخذ برأس فلان: أخذ بتلابيبه.

وتتضمن المجموعة الثالثة معانم / الاتصال / + / لا وساطة / + / حتمية /
+ / خفة /

فعله رأسا : ابتداء دون إبطاء. عاد رأسا إلى بيته: تَوَّأ. صوب رأسا:
مباشرة، حالا. من المنتج إلى المستهلك: دون وسيط. باب يفتح رأسا على
الحديقة: دون فاصل. أجاب رأسا على السؤال: بدون تردد. إدارة تؤدى رأسا إلى
الإفلاس: حتما، لا محالة. قفز رأسا على عقب: قفز بخفة ورشاقة مستديرا على
نفسه في قلبة كاملة.

أما معجم اللغة العربية المعاصرة¹⁴، فقد عرف الرأس على النحو الآتي:

جزء أعلى من البدن، يحوي العينين والفم والأنف والأذنين وبداخله المخ،
مجتمع الخلقة "أصغى إليه برأسه- {وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهُدْيُ
مَجْلَهُ}".

واقصر صاحبه فقط على الجانب الفيزيائي المادي للرأس الذي يتقدمه
معنم الفوقية الذي يضم العمودية (العينين والفم من الأعلى إلى الأسفل) ثم

الأفقية (الأنف الذي يوسط الأذنين) واستبعد تماماً الأبعاد الدلالية لمادة الرأس في السياقات الأخرى.

ويَنحو المعجم الوسيط¹⁵ نحواً آخر في تعامله مع مادة الرأس، فهو لا يطلع القارئ على نواتها المعنوية ويتقيد فقط بمعنم / الفوقية/ الذي يحدد الوجهة الدلالية التي تأخذها الرأس، على مستوى الاستعمال في اقترانها بالمعنم السياقي؛ فهي تارة تدلُّ على النبل، وطورا على الزمنية، وتارة أخرى على العدد، وطورا آخر على الاستثمار، وهذه المعانم السياقية لا علاقة لها بالرأس، ولا بأعضائه الوظيفية ولا بنوياتها المعنوية.

الرأس من كل شَيْءٍ: أعلاه. وسيّد القوم. ورأس الشهر والسنة: أول يوم منهما. ويقال: عنده رأس من الغنم: فرْدٌ منها. وعنده خمسة رؤوس. (ج) أرؤس، ورؤوس. ورأس المال: جملة المال التي تستثمر في عمل ما.

من منطلقات هذه الوقفة، وهذا التوزيع المعنمي إلى مجموعات دالة الذي بآشرناه، يُمكن أن ندرك الأهمية المنهجية للتحليل المعنمي في ترتيب مختلف المسارات الدلالية للمدخل، وننظّم المادة المعجمية بشكل يضمن لنا الوقوف عند كل الاختيارات التي يملئها هذا المدخل أو ذاك بطريقة محكمة. وعلى هذا الأساس، فإن القارئ لا يلقى مَشَقَّة في الانتقال من مستوى إلى آخر وفي ضبط القيم الدلالية للعناصر التي تدخل في تشكيل كل مستوى.

وكان من الممكن أن تستقيم أمور هذه القواميس في تعاملها مع هذه المادة لو تَمَّ فقط استغلال البدائل التي تقدمها المعاجم التراثية في أثناء تصديها لمادة الرأس، والإفادة على الأقل مما تقدمه من مادة معجمية غزيرة، وشروحات وافية لاسيما تلك المتعلقة بالمعاني الصورية. وهي لا تتوقف فقط عند النويات المعنوية للمفردة بل تتعدّها لتشمل مختلف استعمالاتها.

15 - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة إصطانبول، تركيا.

ومن ضمن هذه المعاجم نذكر المخصَّص لابن سيده¹⁶ الذي يقدم شرحاً مفصلاً للرأس من خلال ضبط كل مكوناته، ما ظهر منها وما بطن، وتتخلل هذه المفردات معانٍ سياقية قد تحافظ على النواة المعنوية وقد تنزاح عنها، على نحو ما نلاحظ ذلك في المسارات المعنوية الآتية:

أعلى الرجل: رأسه،

رأس الإنسان قُلتَه والجمع قُلل وقلال..

وفي الرأس الهامة: وهي وسط عظم الرأس والجمع هام وهامات.

هامة الراكب إذا بدا لك رأسه في الصحراء.

الفروة: جلدة الرأس فباطنها الأدمة.

لحمة الرأس: ما بطن من جلده مما يلي اللحم.

إن هذه السياقات التي يعرضها ابن سيده في هذه الأمثلة تبرز المعنى الصوري للرأس في بعده المعنوي النووي الثابت: ويمكن أن نحتفظ بالنواة: / طرفية/ + / فوقية/ التي تشتغل على مستوى ظاهر الرأس. ثم ينتقل بعد ذلك إلى باطنه الذي يتحقق عبر المسارات المعنوية الآتية:

الدماغ: حشو الرأس والجمع أدمغة ودمغ. وفي الرأس الجمجمة وهو العظم الذي فيه الدماغ. ضربت مكوك رأسه على التشبيه بالمكوك من الأواني. النعامة: الجلدة التي تغطي الدماغ. الفراش ما تطاير من عظام الرأس. خشارم الرأس: ما رق من السحاء التي تكون في خياشيم الرأس، وفي الرأس المفرق وهو مجرى فرق الرأس من الجبين إلى الدائرة.

ويُعرِّج بعد ذلك إلى ظاهر الرأس ليحدّد عبره شكله:

16 - ابن سيده، المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

والدائرة هي التي في وسط الرأس التي ينتهي إليها فرق الرأس وفيه القرنان. وهما ناحيتا الهامة وحرفاها عن يمين وشمال، وفيه الفودان وهما جانبا الرأس. كل شق فود.

بناء على هذا، يمكن أن نضيف إلى ما سبق مَعْنَم الدَّائِرِيَّة:

/ دائرية / + / طرفية / + / فوقية /

ثم لم يلبث ابن سيدة أن يقدم بشكل تراتبي تفاصيل دقيقة بمفردات تعكس مواقع العناصر الظاهرة من الرأس:

الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. والجمع أفواد. الحفانان: ناحيتا الرأس والجمع أحفة. المذوران: ناحيتا الرأس مثل الفودين. وفيه صفحاء، وهما جانباه من أسفله والحيود: ما شخّص من نواحيه واحدها حيد والقمحدوة هي الناشزة فوق القفا بين الذؤابة والقفا قد انحدرت عن الهامة إذا استلقى الرجل أصابت الأرض من رأسه. وهي حلاوة القفا. والقصاص: منتهى منبت الشعر في الرأس مما يلي الوجه. سرير الرأس مستقره في مُرْكَب العنق. الطبق: موصل العنق والرأس والجميع أطباق. النصل: الرأس بجميع ما فيه. الفائق: عظم صغير في القفا في مغرز الرأس من العنق...

بعد هذه التحديدات، ينتقل إلى الجبهة التي تحمل نواة معنمية وتتمثل في القسم / الأمامي / و / الأعلى / من الرأس وقد وردت الجبهة مقترنة بمعنمين سياقين:

الجبهة من الإنسان: موضع السجود والجمع جباه.

رجل أجبه: عربض الجبهة حسنها.

يحدد الأول الوظيفة الدينية التي تؤديها الجبهة في أثناء اتصال بالأرض. سجّد: انحنى خاضعا، وضع جبهته على الأرض.

ويحدد الثاني الوظيفة الجمالية للجبهة.

ثم ينتقل ابنُ سيدة إلى الحديث عن الأشكال التي تتخذها مفردة الرأس:
 الرأس الأَكْبَس: المستدير الضخم. الرأس المؤوم: وهو الضخم المستدير.
 وفي الرأس الصعل: وهو صغر فيه مع دقة في العنق. إنه لصندل الرأس: عظيمه.
 رأس صِبْرٌ: صلب شديد. الصُّعبور والصعروب: الصغير الرأس من الناس.
 الصعنب: الصغير الرأس والمفرطح والمفلطح والأفطح.

إن السِّياقات التي يعرضها ابنُ سيدة في هذه الأمثلة تبرز المعنى السوري
 للرأس في بُعد المعنوي النَّووي الثابت.

الشعر: نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر، الواحدة شَعْرَةٌ... الغفر:
 الشعر اللين الرقيق الذي يبدأ في رأس الصبي، وكذلك هو من الشيخ إذا تساقط
 عن رأسه فلم يبق فيه إلا ذلك الشعر وقد يكون في الفراخ. الضَّفيرة: كل خصلة
 من الشعر على حدة والجمع ضفائر. الرَّعر: قلة الشعر في الرأس. الصَّلع: ذهاب
 الشعر من مقدم الرأس، وقد صلح صلعا وصلعة فعو أصلح وامرأة صلعاء.
 والصلعة موضع الصَّلع 71. وفي باب التشعث يعرض ابن سيدة إلى الشعث وهو
 التباد الشعر واغبراره وحف رأس الإنسان إذا شعث.

كما تناول ما يعرض للشعر من الحكمة ونحوها، والامتشاط والفلي
 ونحوهما من العلاج:

فَإِنْ يَتَهَمُّ رَأْسَهُ أَي يَفْلِيهِ وَهَمَّتِ الْمَرْأَةُ فِي رَأْسِ زَوْجِهَا: فَلْتَهُ. فَلَيْتَ
 رَأْسَهُ فُلِيَا: بَحْثُهُ عَنِ الْقَمْلِ. وَالتَّفْتُ أَيْضًا إِلَى الشَّيْبِ وَنَعْوَتَهُ. لَفَعَ الشَّيْبَ
 رَأْسَهُ: شَمَلَهُ. اسْتَطَارَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِهِ: انْتَشَرَ. أَخْلَسَ رَأْسَهُ: ابْيَضَ بَعْضُهُ (77).
 اشْهَبَ رَأْسَهُ وَاشْتَهَبَ: غَلَبَ بِيَاضَهُ سِوَاؤَهُ (78).

وَتَعَرَّضَ أَيْضًا إِلَى حَلْقِ الشَّعْرِ:

صَلَّمَعٌ وَصَلَّقَعٌ وَجَلَّمَطٌ وَزَلَقَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ حَلَقَهُ. ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْأَذْنِ وَمَا فِيهَا وَصِفَاتِهَا وَالْوَجْهَ (88)

كما نلاحظ، فإن ابن سيدة عمَد إلى الترتيب بالاشتراك وذلك لقناعته بالعلاقة الموجودة بين المفردة الموضوعية في المدخل الرئيس، والمداخل الأخرى التي لها صلة به. ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن الشُّروحات التي قدمها في المخصص للمفردات تقتصر فقط على النُّوويات المعنوية التي يُمكن أن تشكل قاعدة مُعجمية أساسية للمعاجم العربية الحديثة التي لم نعد من الدراسة المهمة التي قام بها ابن سيدة.

ومن الواضح أن المعاجم العربية القديمة تتفاوت في عرض المادة المعجمية. ما نلقاه في هذا المعجم من مادة قد يغيب في معجم آخر، وقد يقدم شُرُوحات إضافية عنه على نحو ما نلمس ذلك في القاموس المحيط للفيروزبادي ولسان العرب المحيط لابن منظور في أثناء عرضها لمدخل الرَّأس:

الرَّأْسُ: أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ (...). وَبَيْتُ رَأْسٍ: بِالشَّامِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ الْخَمْرُ. وَرَأْسُ عَيْنٍ: بِالجزيرة. وَرَأْسُ الْأَكْحَلِ: بِاليمَن. وَرَأْسُ الْإِنْسَانِ جَبَلٌ بِمَكَّة. وَرَأْسُ ضَأْنٍ: جَبَلٌ لِدَوْسٍ. وَرَأْسُ الْحِمَارِ: قَرَبٌ حَضْرَمَوْتٍ... وَرُمِيْتُ مِنْكَ فِي الرَّأْسِ: سَاءَ رَأْيُكَ فِيَّ. وَذُو الرَّأْسِ: جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ. وَذُو الرَّأْسِيِّنَ: خُشَيْنُ بْنُ لَأْيٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ جُشَمٍ. وَرَأْسُ الْمَالِ أَصْلُهُ¹⁷.

تقتصر شروحات المدخل في البداية على المعنم السِّيَاقِي / الفوقية/ متجاوزة بذلك المعنى الصوري للرأس. ولضمان وحدة الحقل الدلالي ينجح الشارح إلى عرض مختلف السِّيَاقَات التي ورد فيها الرأس وقيدتها الاستعمال. وإذا كانت مُفردة الرأس في سياقاتها الجديدة تحتفظ بِمَعْنَمِ الفوقية للدلالة على

17 - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت 2004. ص. 571.

العُلوُّ والبُرُوز، فإن دُحوها في علاقة تركيبية بأسماء مكان نكرة أو حيوان أو إنسان يفضي إلى إضافة معنم سياقي جديد يدلّ على المعرفة. وعليه، فإن علاقة التضايّف القائمة بين مُفردة الرأس من جهة والمفردات بيت، عين، الأكحل، الحمار تکرّس وَضْعاً لُغويّاً قيدهُ تداوُلُ أسماء العَلَم. وما يلفت انتباه قارئ هذه الشروحات المنسجمة دلالياً هو تخلُّلها لِاسْتِعْمالِ الرأس في عبارة تنزاح تماماً عن نواته المعنمية والمَعْنَمِ السِّيَاقِي المَحْدَد سلفاً، فتخترق بفعل هذا الاستعمال الجديد وحدة الحقل لتدُلّ على التقييم السِّلبي: سَاءَ رأيك في. ثم لم يلبث الشَّارِحُ أن يعود من جديد إلى الوضع الأول، ولكن هذه المرة باستعمال الرأس في المفرد، ثم في المثني في علاقة تضايّف بِذُو المِلازِمَةِ لِالإِضَافَةِ إلى أسماء العَلَمِ الظاهرة:

ذُو الرأس: جَرِيرِ بنِ عَطِيَّة. وذو الرأسين: حُشَيْنِ بنِ لَأْي، وأمّية بن جُشَم. ثم يغادر الشارح هذا المستوى للانتقال إلى مستوى آخر يشي بظهور معنم جديد من خلال وضع الرأس في تركيب جديد قيده الاستعمال. إضافة المال إلى الرأس: رأس المال أي أصله.

إنَّ قراءة سريعةً في هذه الشروحات تقودنا إلى الإقرار بوجودِ تداخلٍ في المستويات، وهو ربما ناتج عن الفترات المتقطعة التي كُتبت فيها الشروحات، وإلى المدونة المفتوحة التي يشتغل عليها الشارح الذي يرغب في تسجيل أكبر قدر من المُستعملِ من الكلام. وإذا انتقلنا إلى لسان العرب، فإننا نلاحظ إقبال ابن منظور على تدوين كل ما يحيط بمفردة الرأس، وعلى تسجيل ما لم يُسجل سلفاً، واستبعاد بعض الشروحات المهمة المتعلقة بأسماء العَلَم. وهذا ما نلاحظه في أثناء قراءتنا مدخل الرأس:

رأس كل شيءٍ: أعلاه. قال أبو عبيد: إذا اسودَّ رأس الشاة فهي رأساء، فإن أبيض رأسها من بين جسدها فهي رَحْمَاء ومخمرة. وُلِدَ ولُدُّها على رأس واحد أي بعضهم في إثر بعض، وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأساً على رأس أي واحداً في إثر الآخر. ورأس عين ورأس العين كلاهما موضع. يقال جاء فلان من

رأس عين إذا كانت عيناً من العيون نكرة، فأما رأسُ عين هذه التي في الجزيرة فلا يقال فيها إلا رأس العين. أنت على رئاس أمرك أي أوله، والعامّة تقول على رأس أمرك. رمي فلان منهم في الرأس أي أعرض عنه ولم يرفع به رأساً واستثقله؛ تقول: رميت منك في الرأس على ما لم يسم فاعله أي ساء رأيك في حتى لا تقدر أن تنظر إلي. وأعد كلامك علي من رأس ومن الرأس وقال لا تقول من الرأس والعامّة تقول. وبَيْتُ رأس: اسم قرية بالشام كانت تباع فيها الخمر¹⁸.

وإذا قابلنا هذه المادة بما جاء في معجم القاموس المحيط مع أخذ الفارق الزمني للمعاجم بعين الاعتبار، فإننا نلاحظ وجود إضافات استدعتها ضرورة الاستعمال والتداول. وقد عمل ابن منظور على تجليتها منذ البداية:

إذا اسودَّ رأسُ الشاةِ فهي رَأْسَاءُ، فإن ابيضَ رأسُها من بين جسدها فهي رَحْمَاءُ ومخمرة.

تحمل هذه الشُّروح فضلاً عن مَعْنَمِ الفوقية معنماً سياقياً متصلاً بمفردة رأساء، وحاملاً للسُّمة اللونية التي تُتخذ من باب إطلاق تسمية الجزء على الكل فيقال رأساء ورخماء ومخمرة.

ويأتي مَعْنَمِ التتابع علامةً مميزة قيدها السِّياق الاجتماعي في الاستعمال. ويظهر هذا جلياً في الشروحات الآتية:

وُلِدَ ولدها على رَأْسٍ واحد أي بعضهم في إثر بعض، وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأساء على رأس أي واحداً في إثر الآخر.

ويُنهي ابن منظور شروحات هذا المدخل بالتَّحديد المكاني لبیت رأس:

وبیت رأس: اسم قرية بالشام كانت تباع فيها الخمر.

بيتُ رأس مُفردة مركبة من كلمتين، ولكنها تُشكّل وحدة دلالية واحدة تحيل على اسم علم لفضاء قرية بالشام. ويُمكن أن نفترض، في هذا السياق، بأن

18 - ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت.

مفردة الرأس تشكل علامة مميزة لهذا البيت تستمد وجودها من معنم العلو الذي يُميز هذه القرية عن باقي القرى المتسمة بالمعنم السفلي. إن النواة المعنمية للرأس المتقدمة على التسمية تجعلنا نفترض أن هذه الفضاءات تقع في المرتفعات. يقدم هذا التحديد الذي يعرضه لسان العرب إضافات تُبولوجية بالقياس إلى الشروحات التي عرضها القاموس المحيط، والتي لا تحدد بيت الرأس تحديداً واضحاً. ويكفي أن نقدم تحليلاً معنياً للشرحين لتتأكد من ذلك:

القاموس المحيط: / الفوقية /+ / السعة /+ / الأفقية /+ / (السوائل الكحولية) /

لسان العرب: / علم /+ / الفوقية /+ / السعة /+ / الأفقية /+ / الاستهلاك (السوائل الكحولية) /.

إن المفردة بوصفها إضماراً سابقاً في الوجود على التلّفظ تبدو كمجموعة من المسارات الخطابية الممكنة، والتي في انطلاقتها من نواة مُشتركة تُفضي في كل مرة بفضل لقاءها بالمعانم السياقية المختلفة، إلى عدد من التّحقيقات في شكل معانم مركبة تحيل على الإمكانيات اللّغوية التي تستغل في تسمية الأماكن.

خاتمة

تأسيساً على كل ما سبق من ملاحظاتٍ، يمكن أن يعمل صانع القاموس على هذه الخلفية المنهجية التي تبنتها بعض البحوث لِدَرْك الفروقات المعنمية للمفردة الواحدة، وضبط مساراتها التي يحددها الاستعمال؛ وتبدو هذه المسألة واضحة مادامت الوحدات المعجمية تخضع لإكراهات السّياق اللّغوي والاستعمال الاجتماعي. ومن ثم، "فإن التركيب هو الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها تصور المعنى والتحكم في الدلالة"¹⁹. ولا يمكن أن نتحكم فيها إلا من خلال ضبط الوحدات الأولية للمعنى التي تُعد العتبات الأولى التي تُفضي

19 - A.J.Greimas, Du sensII, Seuil,Paris, 1983, p.22.

إلى إمكاناتها الدلالية. ولئن كانت هذه الوحدات لا تحدّد لذاتها هذه الاعتبارات، فإن أغلب صعوبات التحليل المعنوي في اللغة، تأتي من استحالة تشكيل وحصص مدونة مغلقة يتحدّد معها موضوع الدراسة. ومع كل ذلك، يمكن تجاوز هذه الصعوبات بالتعامل مع التركيبات المعجمية كما لو أنها مغلقة؛ إن الذي يهم من كل هذا هو أن التحليل المعنوي كشف عن إمكانات منهجية كبيرة، وأحدث طريقة جديدة في التعامل مع إعداد المعاجم. وستعمل نتائجه بكل تأكيد على بلورة رؤية منهجية سيكون لها مردود إيجابي في صياغة المعاجم.